حكاياتٌ دعويّة
(٢)

مفاتيح الخير

الدكتور
محمد عمر الحاجي

obeikandl.com

obeikandl.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

مفاتيح الخير..

اشترىٰ (أبو عدنان) بعضَ الكتبِ والقِصصِ والمجلاتِ ، وذلك في بدايةِ العُطلةِ الصيفيةِ ، ولما وَصلَ إلىٰ البيتِ ، أقبلَ عليه الأولادُ من كل مكان...

وأخذَ كلٌّ واحدٍ منهم ما يُناسِبُ عمرَه ومُسْتواه الثقافيَّ ، وشَكَروا والدَهم علىٰ تلكَ الهدايا القيمَةِ...

كانَ حظُّ (وردة) كتاباً يجمعُ بين دَفَّتَيه قِصصاً من التراثِ العربيّ ، فراحتْ تقرأُ القِصصَ بِنَهَمٍ وشَوقٍ ، فقد كان عندها ميولٌ أَدبيةٌ ، وهي تحبُّ كلَّ ما لهُ علاقةٌ بالأدبِ..

ومنْ أروعِ القصصِ التي وجدتْها هذه القصةُ :

مَرِضَ الخليفةُ العباسيّ (الواثقُ بالله) ،

obeikandl.com

واشتدَّ مرضُه ، ومُنِعَ الناسُ من عيادتِه ستةَ أيامٍ ، فدخلَ عليه (أحمد بن أبي دُواد) وكانَ قاضي القضاة في الخلافةِ..

فلما رآهُ الخليفةُ قال : يا أبا عبدِ الله! ذهبتْ منّي الدنيا والآخرة .

... فقال القاضي : وكيفَ ذلك يا أميرَ المؤمنين؟

قال الخليفةُ : أما الدنيا فما ترىٰ من حُضورِ الموتِ ، وأما الآخرةُ فبسببِ ما قمتُ به من أعمالٍ قبيحةٍ ، فهلْ عندَكَ مِن دواءٍ؟

قال القاضي : نعمْ يا أميرَ المؤمنين .

... فاعتدلَ الخليفةُ.. وقال : هاتِ ما عندَكَ...

قال القاضي : يا أميرَ المؤمنين! إنّ وزيرَكَ (محمد بن عبد الملك بن الزيات) قد عَزَلَ جماعةً من الكُتّاب ظُلْماً.. وزَجَّهُمْ في السجون ، وهُمْ خَلْقٌ كثير ، ووراءَهم ألفُ يدٍ تُرفَعُ إلىٰ اللهِ أَحْكَمِ

الحاكمين بالدعاءِ عليك...!

قال الخليفةُ : وماذا ترىٰ؟

فقال القاضي : فلو أنّكَ أَمَرْتَ بإطلاقِهِمْ لارتفعَتْ تلك الأيدِي بالدعاء لكَ ، فلعلَّ اللهَ تعالىٰ أنْ يَهَبَ لك العافيةَ ، فأنتَ محتاجٌ في هذا الحالِ إلىٰ أن يقلَّ عددُ خُصومِكَ .

فقال الخليفةُ : نِعْم ما أشرتَ به يا بنَ أبي دُوادَ ، وقِّع عنّي أمراً بإطلاقِهِم جميعاً..

فقال القاضي : قد لا يَقتنعُ وزيرُكَ ابنُ الزيّاتِ عندما يرىٰ الأمرَ موقَّعاً بخطّي ، فلو تحاملْتَ علىٰ نفسِك ، ووقَّعْتَ بخطِّكَ أنت..

... وبالفعل ، استجابَ الخليفةُ لطلَبِ القاضي ، وتحامَلَ علىٰ نَفْسِه ، ووقَّع بخطٍّ مضطربٍ أمراً يَقضي بإطلاقِ الكُتّابِ وكلِّ مَنْ كان في السجونِ من دون تأخيرٍ ولا مراجعةٍ...

ولما انتهىٰ الخليفةُ من ذلك قال له قاضي القضاة (ابن أبي دُواد) :

يا أميرَ المؤمنين! أرجو أن تَطْلبَ من حاجِبِكَ (أيتاخ) أن يَمضيَ بالتوقيعِ إلىٰ الوزيرِ ابن الزيـاتِ ، ولا يـدعَـهُ يفعـلُ شيئـاً قبـل أن يُطْلِـقَ السجناءَ...

وإنْ لقيه راكباً في الطريقِ فلْيُنْزِلْه عن دابَّتِه ويُجْلسْه حتىٰ يوافِقَ علىٰ أمرِكَ..

ونُودِيَ علىٰ الحاجبِ (أيتاخ).. وطلبَ منه الخليفةُ أن يَفعلَ بمشورةِ قاضي القضاة.. وفوراً .

فذهبَ الحاجبُ.. فلقيَ الوزيرَ راكباً يُريدُ الخليفةَ... فقال له : هلا نزلتَ عن دابّتكَ؟!

فاستجابَ الوزيرُ لحاجبِ الخليفةِ ، ونزلَ عن دابّتِهِ ، فأَطْلعَهُ الحاجبُ علىٰ أمرِ الخليفةِ ، وطلبَ منه التوقيعَ عليه ، فامتنعَ ابنُ الزيات قائلاً :

إذا أطلقْتُ سراحَ هؤلاءِ ، فمن أينَ أجيءُ بالأموالِ لتدبيرِ نَفَقاتِ القصرِ؟

قال الحاجب : لابدَّ لك من الموافقةِ علىٰ أَمْرِ الخليفةِ .

فقال الوزيرُ : سأذهبُ ، أولاً ، وأُقابِلُ الخليفةَ .

قال الحاجبُ : لا سبيلَ إلىٰ ذلكَ .

فقال الوزيرُ : حسناً... سأكتبُ إليه مُسْتَفْهِماً..

قال الحاجِبُ : ولا هذا...

ولم يَدَعِ الحاجبُ الوزيرَ يَبرحُ مكانَه حتىٰ وقَّعَ بإطلاقِ سَراحِ السُّجناءِ كافةً..

ثم تابع الوزيرُ طريقَه إلى السِّجْنِ ، فلما رآه الكُتّاب ظنُّوا أنّ مصيبةً ستحدثُ لهم... ، ولكنه بشّرَهُمْ بإطلاقِ سراحِهِمْ ، فتهلَّلتْ وجوهُهم.. وحَمِدوا الله ودَعَوا بالخيرِ لقاضي القضاة.. وللخليفةِ ، ثم انصرفوا إلىٰ منازِلِهِمْ ، فأقاموا

لحظاتٍ هناك ، ثم خرجوا بعدَها لملاقاةِ ابنِ أبي دُواد ، وكانَ في طريقِ عودتِه من دارِ الخلافة...

فلما رأَوْه قادماً رَكَضوا إليه.. ودعَوا له.. وشكَروه.. وساروا علىٰ جانِبَيْه ، فأخذَ يُخْبرُهُم بما حَدَثَ.. فقال لهم : لا تَشْكُروني.. فهذا واجبُنا تجاهَ أصحابِ الحقوقِ... وتجاهَ المظلومين.. وهذا أقلُّ حقوقِكم.. وستعلمون ما أفعلُه فيما بَعْدُ..!!

.. وفي مساءِ ذلكم اليومِ ، عادَ القاضي ابنُ أبي دُواد إلىٰ دارِ الخليفةِ ، فقال له الواثقُ بالله : قد تبرَّكْتُ برأيك أيها القاضي ، ووجدْتُ راحةً من المرضِ ، ونَشِطْتُ ، وأكلتُ وزنَ خمسةِ دراهم خبزاً...

فقال القاضي : تلك الأيدي التي كانتْ تدعو عليكَ صباحاً ، صارت تدعو لكَ مساءً ، ويدعو لكَ بسببهِمْ خَلْقٌ كثيرٌ من رعيّتِكَ.. ، إلا أنهم قد صاروا

إلىٰ دورٍ خَرابٍ ، وأَحوالٍ قبيحةٍ ، بغير فُرُشٍ ولا كُسْوةٍ ولا دَوابَّ ، موتىٰ جُوعاً وهُزالاً...

قال الخليفةُ : وماذا ترىٰ أيها القاضي النَّصوحُ؟

فقال القاضي : يا أميرَ المؤمنينَ! أرىٰ أن تَسْتَكْمِلَ نعمةَ اللهِ عليك ، وتُكْمِلَ نعمَتَكَ عند هؤلاءِ القومِ بما تَفعلُه معهم .

قال الواثقُ بالله : وماذا تُريدُني أَنْ أَفْعَلَ؟

قال القاضي : في الخزائنِ والإسطبلاتِ بقايا ما صادَرَهُ الجُنْدُ من هؤلاءِ الناسِ ، فلو أَمَرْت أن يُنْظَرَ في ذلك ، فكلُّ مَنْ وُجِدَ له شيءٌ باقٍ رُدَّ إليه... وليُفْرجْ لهم عن ضياعِهِمْ ليَعيشوا بها ، فيخفَّ الإثمُ ، ويتضاعف الدّعاءُ لك وتعودَ إليك عافيتُكَ وصحتُكَ بإذنِ اللهِ تعالىٰ .

... فطلَبَ الخليفةُ من قاضي القضاة أن يُوَقِّع عنه أَمْراً بذلك...

فوقَّع ابنُ أبي دُواد الأمرَ... وعادتْ للقومِ أملاكُهُم.. ، وسادتِ الطمأنينةُ والهدوءُ..

وبعد ثلاثةِ أيامٍ من تلك الحادثةِ شاءَ اللهُ تعالىٰ أن يَموتَ الخليفةُ العباسي الواثق بالله تعالىٰ..!!

* * *

obeikandl.com

ومن يَصْنَعِ المعروفَ في غيرِ أهله!!

... ولما انتهت (وردةُ) من قراءةِ الحكايةِ الرائعةِ ، قالت الأمُّ : حقاً إن حكاياتِ السابقين فيها من الفوائدِ والعِظاتِ والدروسِ الشيءُ الكثيرُ...

فقال (أبو عدنان) : رَحِمَ اللهُ الإمامَ أبا حنيفةَ عندما قال : (الحكاياتُ عن العلماء ومحاسِنِهم أحبُّ إليَّ من كثيرٍ من الفقه ، لأنها آدابُ القوم... .) .

... ضحكتْ (ناديا) وقالت : عَجَباً لأمرِ أفرادِ عائلتِنا.. كأنّهم يعيشونَ في مكتبةٍ عامةٍ ، فكلُّ واحدٍ منهم يَحملُ كتاباً أو مجلةً أو قصةً...

فقالتِ الأمُّ : ما أروعَها من هِوايةٍ... وهل هناكَ

obeikandi.com

أَحْسَنُ من أَنْ يَقتَنيَ الإنسانُ الكتبَ.. ويُطالِعَ فيها.. فَيَستفيدَ.. ويُفيدَ؟!

.. قَفَزَتْ (لمياءُ)... وهي تحملُ في يدِها مجلةً للصِّغارِ.. وقاطعتِ الجميعَ بقولها :

استمعوا إلىٰ هذه الحكايةِ التي قرأتُها :

خرجَ قومٌ إلىٰ الصيدِ ، وكان الوقتُ حارّاً.. ، وبعد قليلٍ أحَسُّوا بالتَّعَبِ فجلَسوا ليرتاحُوا ، فعَرَضَتْ لهم أمُّ عامر ـ وهي كُنْية الضَّبُع ـ فهجموا عليها ، وطردُوها ، فأتعبتْهم حتىٰ ألجؤوها إلىٰ خِباءِ أعرابيّ.. فاقتحمتْهُ..

فخرجَ الأعرابيُّ إليهم وقال : ما شأْنُكُم؟

قالوا : صَيدُنا.. وطَريدَتُنا.. نريدُ قَتْلها.. والاستفادةَ منها..

فقال الأعرابيُّ : كلا ، لن تَصِلوا إليها ما ثَبَتَ قائم سيفي في يدي... فرَجَعوا وتركوه وشأنَه معها..

... وبعد قليل : قامَ الأعرابي إلىٰ ناقتِه الحلوب ، فحلَبها ، ثم قَرَّبَ الحليبَ.. وإلىٰ جوارِه الماءَ.. ووضعَهُما بين يَدَي الضَّبُع..

فأقبلَتْ أمُّ عامر تَشْرَبُ من الماءِ تارةً.. ومن الحليبِ تارةً أخرىٰ ، حتىٰ رَوِيَتْ واستراحَتْ .

وبينما الأعرابي نائمٌ في جوفِ بيته ، إذ وثبتْ عليه.. فَبَقَرَتْ بَطْنَه.. وأكلتْ من لحمِه..!!

وجاء ابنُ عمٍّ له يَطلُبُه ، فإذا هو في قبرٍ في بيته ، فالتفتَ إلىٰ موضعِ الضَّبُعِ ، فلم يَرَهُ ، فَعَلِمَ خيانةَ الضَّبعِ وغَدرَه..

فحمل قوسَه وكِنانَتَه وراح يَبْحَثُ عن الضبعِ لِيقتُلَه...

وبالفعل ، عَثَرَ عليه.. فقتلَه ، وأنشأ يقول :

ومن يَصْنَعِ المعروفَ مع غيرِ أهلِه

يُلاقي الذي لاقىٰ مُجيرُ امِّ عامرِ!!

... فعفوكَ أكبرُ!!

قال (أبو عدنان) : من أجملِ ما قرأتُ في هذا الكتابِ هذه القصةُ الهادفة :

وصل إلىٰ مَسامِعِ الخليفةِ (الأمين) كلامٌ يؤذيهِ.. فأَمَرَ بِحَبْسِ قائلِه ، وهو الشاعرُ المشهور (أبو نُوَاس)...

وفي السِّجْن رَغِبَ الشاعرُ أن يَرفَعَ إلىٰ الخليفةِ ظُلامَتَهُ ، فلم يَجِدْ إلىٰ ذلك سبيلاً ، وبينما هو في حَيْرةٍ من أمرِه إذْ مرَّ من أمامِه خادمٌ قد حَلَقَ شَعْرَ رأسِه..

فناداه الشاعر وقال له : هل لكَ بخمسمئةِ دينارٍ علىٰ أَنْ أَكْتبَ علىٰ رأسِكَ بيتَين من الشِّعر.. وتمرَّ بين يدي الخليفةِ؟

فوافَقَ الخادمُ ، فأَخَذَ (أبو نواس) الدَّواةَ وكتبَ علىٰ رأسِ الخادمِ :

مضىٰ لي شهر مُذ حُبِسْتُ كأنّني

ـ فَدَيْتُكَ ـ قد أَذْنَبْتُ ما ليسَ يُغْفَرُ

فإنْ كنتُ لم أُذْنِبْ ففيمَ حَبَسْتَني

وإنْ كـان لـي ذَنْـبٌ فَعَفْـوُكَ أَكْبـرُ

ثم وقَّع تحت البيتين : إذا قرأتَ كتابي هذا فحرِّقِ القِرْطاسَ!

فلما دخلَ الخادمُ علىٰ الأمينِ ، قرأ الأمينُ البيتين ، ولم يتمالَكْ نَفْسَه من الضَّحِكِ.. ، ثم قال : للهِ دَرُّهُ ، ما سَبَقَهُ أحدٌ إلىٰ مِثْلِ هذا ، فَأَمَرَ بإطلاقِه.. وإكرامِه!!

... والحمد لله رب العالمين...